خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١١

من خصال الإيمان بالله تعالى

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في صَحيحِ البُخاري: عَنْ أَبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:

«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليومِ والآخرِ، فَلْيَقُلْ خَيراً أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليومِ الآخرِ، فليُكرِمْ جارَهُ، ومَنَ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فَلْيُكْرِمْ ضيفَهُ».

بعدَ أنْ أنهتْ (دانيةُ) وظائفَها المدرسيةَ، اتَّجَهَتْ إلى مكتبةِ والدِها تريدُ أن تبحثَ عن كتابٍ يضمُّ طائِفةً من الهدي النَّبويِّ، لتنْقُلَها في هذهِ اللّيلةِ إلى أفرادِ عائِلتها، فقد أصبحتْ تشعرُ أنَّها صارَتْ كبيرةً، وعليها المشاركةُ في جميعِ الأمورِ!!

وبعدَ طولِ بحثٍ وجدَتْ موسوعةً مولّفةً مِنْ عددٍ كبيرٍ من المُجلّداتِ وعُنوانُها:

جامعُ الأصولِ في أحاديثِ الرَّسولِ للإمامِ محمّدٍ بنِ الأثيرِ الجَزَرِيِّ.

وفتحَتِ المجلدَ السّابعَ مِنْهُ فوجدَتْ حديثاً نبويّاً فيهِ من التّوجيهِ والهَدْيِ الشَّيءُ الكثيرُ، فأخرجَتْ وَرقةً من محفظَتِهَا ونقلَتْهُ.

وفي المساءِ اجتمعَ أفرادُ الأسرةِ في الصّالونِ، وإذا بدانية تقفُ إلى جوارِ والدتِها تقرأُ من الورقةِ:

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:

«مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فَلْيَقُلْ

خَيراً أو لِيصْمُتْ ، ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكْرِمْ جَارَهُ ، ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيُكْرِمْ ضيفَهُ».

ثُمَّ قالَتْ: فَمَنِ الّذي يبدأُ بشرحِ الحديثِ الشّريفِ؟!

حتّى يستقيمَ اللّسان!!

تبسّمَ والدُها وقالَ: حقّاً لقدْ أَصْبَحْتِ يا دانيةُ فتاةً راشدةً ، فأنا أسألُ اللهَ تعالى أنْ يُنوِّرَ عقلَكِ بأنوارِ القرآنِ الكريمِ ، ويفتحَ أمامَكِ سُبُلَ الهَدْيِ والخيرِ والبَركاتِ.

ثُمَّ قالَ: أعمالُ الإيمانِ تارَةً تتعلَّقُ بحقوقِ اللهِ كأداءِ الواجباتِ ، وتركِ المُحَرَّماتِ ، ومِنْ أهمِّها الصّمتُ إنْ لم يَكُنْ في الكلامِ خَيْرٌ وفائدةٌ.

وتارةً تتعلَّقُ بحقوقِ عبادِهِ كإكرامِ الضَّيفِ ، وإكرامِ الجَارِ.

وَمِنْ شِدَّةِ خطورةِ اللّسانِ ، جاءَتِ الوَصايا النَّبويَّةُ تَحُضُّ على حفظِهِ وما إلى هُنالِكَ ، مثالُ ذلكَ قولُ الرَّسولِ ﷺ: «لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتَّى يستقيمَ قلبُه ، ولا يستقيمُ قلبُه حتَّى يستقيمَ لسانُهُ».

ووفَدَ الصَّحابيُّ (أسود بنُ أصرمَ المُحاربيُّ) على رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ أوصِني!

قالَ: «هل تَمْلِكُ لسانَكَ؟».

قال: ما أمْلِكُ لِسَاني.

قال: «فَهَلْ تَمْلِكُ يدَكَ؟».

قال: فما أملِكُ إذا لم أملِكْ يَدِي؟

قالَ: «فَلا تَقُلْ بلسانِكَ إلاَّ معروفاً، ولا تَبْسطْ يدَكَ إلاّ إلى خيرٍ».

وعنِ معاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «إنَّكَ لَنْ تزالَ سالِماً ما سَكَتَّ، فإذا تكلّمْتَ كُتِبَ لَكَ أو عَليكَ».

وعنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ، عنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «إنَّ الرَّجُلَ ليتكَلَّمُ بالكلمةِ لا يرَى بِها بأساً، يَهْوِي بها سبعينَ خريفاً في النَّارِ».

وعنْ بلالِ بنِ الحارثِ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: سمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ أحدَكُم ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رِضوانِ اللهِ، ما يَظُنّ أنْ تَبْلُغَ ما بلَغَتْ، فيكتبُ اللهُ بها رضوانَهُ إلى يومِ

يلقاهُ ، وإنَّ أَحَدَكُمْ ليَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، ما يظُنُّ أن تبلُغَ ما بلغَتْ ، فيكتُبُ اللهُ بِها سَخَطَهُ إلى يومِ القِيامةِ».

وَدَمَعَتْ عَيْنَا (أبي الخيرِ) وَهُوَ يَتلُو قولَ اللهِ تعالى:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

ثُمَّ أَجْهَشَ بالبُكاءِ وَهُوَ يُردِّدُ قولَه تعالى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾

وَحاولَ (صُهيْب) تَهْدِئةَ الموقفِ ، فقالَ:

قَرأْتُ لأحدِ كِبارِ التَّابعينَ قولاً رائِعاً فِي هَذا المجالِ ، وهُوَ ما يلي:

إنَّ مَنْ كانَ قَبْلكُمْ كانُوا يَكْرهُونَ فُضُولَ الكَلامِ ، وَكانُوا يعدُّونَ فُضولَ الكلامِ ما عَدا كتابَ اللهِ تَعالى ، وسُنَّةَ رسُولِ اللهِ ﷺ ، أَو أمْراً بمعروفٍ ، أو نهياً عن منكرٍ ، أو أنْ تَنطِقَ بحاجَتِكَ في معيشَتِك الَّتي لابُدَّ لَكَ مِنها.

أيُّها النَّاسُ!

أتُنْكِرونَ أنَّ عليكُم حَافظينَ؟ كِراماً كاتِبينَ عن اليَمينِ وعنِ الشِّمالِ قَعيدٌ ، ما يَلْفُظُ مِنْ قولٍ إلاَّ لديهِ رقيبٌ عَتيدٌ؟

أما يَسْتحي أَحدُكمْ إذا نُشِرَتْ صحيفَتُهُ التي أَمْلاهَا صَدْرَ نهارِهِ ، كانَ أكثرَ ما فيها ليسَ مِنْ أمرِ دينهِ ولا دُنْياهُ..؟!

وَلذلِكَ فعلى العاقِلِ أَنْ يُعْرِضَ عنِ اللَّغوِ ويَتْرُكهُ ، ويتركَ المجالسَ التي يَشِيعُ فيها اللغوُ ، وإلاَّ فما الفائدةُ مِنَ الكلامِ الذي لا طَائلَ تحتَهُ؟

منْ هُنا نفهمُ السِّرَّ وراءَ إطلاقِ القُرآنِ الكَريمِ عَلى المُؤمنينَ صفةَ الإعراضِ عنِ اللَّغوِ.

قَالَ اللهُ تَعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[المؤمنون: ١ ـ ٣].

وفي مَكانٍ آخَرَ ، يتَحدَّثُ البيَانُ الإلهِيُّ عن

صِفاتِ عِبادِ الرَّحمنِ ، فيقُولُ اللهُ تَعالى:

﴿... وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٢].

أي: وَإذَا مرُّوا بِأهلِ اللَّغْوِ المُشْتغِلينَ بهِ ، مرُّوا مُعرِضِيْنَ عنْهُم ، مُكرِمينَ أنفسَهم عَنِ التَّوقُّفِ عَليهِمِ والخَوضِ مَعهُم ، مِصداقُ ذَلك قولُه تَعالى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

[القصص: ٥٥].

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾

فقالتْ (رَوضةُ):

ولِذلكَ أمرَنَا اللهُ تَعالى أنْ نبتَعِدَ عنِ اللَّغوِ ،

وأنْ لا نَنْطِق إلاَّ بالكَلمةِ الحُسنَى ، كَمَا في قَولِهِ تَعالَى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقَولِهِ أيْضاً:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وبالتَّالِي ، تَعتَبرُ الشَّريعةُ الإسلاميةُ النُّطْقَ بالكلِمةِ لَوناً منْ ألوانِ الهِدايةِ والتَّوفيقِ ، أي إنَّها من صِفاتِ أهلِ الاهْتِداءِ والاستِقَامةِ على الطَّريقِ ، قَالَ اللهُ تَعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾

[الحج: ٢٣ - ٢٤].

وهُناكَ فرقٌ كبيرٌ بين الكَلمِ الطَّيِّبِ وبَينَ الكَلِمِ الخَبيثِ ، مِصداقُ ذَلك قولُ اللهِ تَعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾

[إبراهيم: ٢٤ - ٢٧].

لا يدخُلُ الجَنَّةَ!!

وقَالَ (جميلٌ): ثُمَّ يُؤكِّدُ الرَّسُولُ ﷺ في

هَدْيِهِ عَلَى إكرامِ الجارِ ، وذَلكَ في عَدَدٍ من الأحَاديثِ الشَّريفَةِ ، مِثل قولِه صَلَواتُ اللهِ عليهِ:

«واللهِ لا يُـــؤمـــنُ ، واللهِ لا يُـــؤْمـــنُ ، واللهِ لا يُؤْمنُ».

قِيلَ: منْ يا رَسولَ اللهِ؟

قالَ: «منْ لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ».

وفي حَدِيثِ أبي هُريرَةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ:

قِيلَ: يا رسولَ اللهِ ، إنَّ فُلانَةَ تُصلِّي باللَّيلِ ، وتَصومُ النَّهارَ ، وفي لِسانِها شيءٌ تُؤذِي جِيرانهَا ، سَليطةٌ؟

فَقالَ: «لا خيرَ فِيها ، هِي في النَّارِ».

فقيلَ لهُ: «إنَّ فلانةَ تُصلِّي المَكتُوبَةَ ، وتصُومُ رمضانَ ، وتَتَصدَّقُ ، ولا تُؤذِي أحَداً.

قالَ: «هيَ في الجَنَّةِ».

ثُمَّ يُدقِّقُ الرَّسولُ ﷺ في مَسألةِ حُسنِ الجِوارِ ، لِيقولَ: «يَا أبا ذَرٍّ! إذَا طَبخْتَ مَرقةً فأكثِرْ مَاءهَا ، وتعاهَدْ جِيرانَكَ».

إكرامُ الضَّيفِ..

وخَتمتْ (أُمُّ الخيرِ) الجَلسةَ بالقولِ:

وحَضَّ الرَّسولُ صلواتُ اللهِ عليهِ عَلى إكرامِ الضَّيفِ ، كمَا في قَولِهِ: «ومنْ كَانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكرمْ ضَيفَهُ».

ونَوَّهَ إلى خُطورَةِ عَدمِ إكرامِهِ ، فَقَالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:

«أيُّما رَجلٍ أضَافَ قَومَاً ، فَأصبَحَ الضَّيفُ مَحْرُومَاً ، فَإنَّ نَصرَهُ حقٌّ عَلَى كُلِّ مُسلمٍ حتَّى

يأخُذَ بِقِرَى ليلةٍ من زرْعِهِ ومَالِهِ».

نَسألُ اللهَ أنْ يُخلِّقَنَا بأخلاقِ القُرآنِ ، إنَّه عَلَى مَا يَشاءُ قديرٌ..

والحَمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ